

بايزيد الانصارى و كتابه "مقصود المؤمنين"

للدكتور مير ولى خان المسعودى

بايزيد الانصارى (٩٣١ - ٩٨٠ هـ)

هو إمام الفرقة الروشانية في عهد الملك جلال الدين أكبر (١٥٥٦-١٦٠٥م) لقبه أتباعه بالمرشد الهادى (بیر روشن) و سماه أعداؤه - و على رأسهم ملا زنگى و اخوند درويزه - بالمرشد المضل (بیرتاريك).

نهج بايزيد الانصارى في التصوف منهجا خاصا به و رتب للسلوك الصوفى درجات ثمانية التي رآها ضرورية لطالب الحق. كانت لحركته الاصلاحية آثار لا تحصى. و كانت دعوته نهضة دينية حيث حول وجهة الناس من حب الدنيا إلى معرفة الحق. و أيقظ في العامة النزعة الدينية و حثهم على العبادة و الذكر كما حذرهم من الشرك الخفى و النفاق. قام بايزيد الانصارى برياضة نفسه و إصلاح روحى. و اعتكف في بيته خمس سنوات متوالية يعبد الله و يناجيه. ثم خرج الى الناس يدعوهم الى التوحيد و الذكر الخفى و يأمرهم بترك الشرك الخفى و التقاليد الفاسدة.

بدأت دعوته الدينية تنبعث من مدينة " كانى كرم "، (١) و لم تلبث هذه الحركة الاصلاحية و تلك الدعوة الدينية حتى انتشرت بسرعة البرق

(١) هذه مدينة قديمة بنيت فوق هضبة مستطيلة تقع في المنطقة الجنوبية من باكستان الغربى يحيط بها قبائل مسعود المعروفة بالشجاعة و البسالة في الحروب و يسكن فيها قبيلة ارمر سكانها اهل حرفه و لهم مهارة تامة في صنع الاسلحة من البنادق و السكاكين.

بين القبائل كلها. و شرع بايزيد يرسل الدعاه الى الاقطار لينشروا دعوته في تلك البلاد. و امتدت هذه الحركة الاصلاحية من مدينة "كاني كرم"، التي ترعرع فيها بايزيد الى وادي بشاور الذي استوطنه فيما بعد و نشر فيه دعوته .

أرسل بايزيد الرسائل الى الملوك و الأئراء فدعاهم فيها الى معرفه الحق و ترك حب الدنيا فمالوا اليه في أول الأمر و اظهروا الرغبة في اتباعه و ارسلوا اليه التحف و الخلع رمزا لاحترامهم إياه .

استمرت هذه الحركة الاصلاحية الدينية قوية طول مدة حياة بايزيد الانصارى مع انها وجدت معارضة شديدة من قبل أعدائه و مقاومه عتيقه من الحكام و عملائهم ، و بقيت قوية بعده بزعامه أبناءه و أحفاده . و ظلت الفرقة الروشانيه تنصب الخلفاء من أولاده في المناطق الجبلية من باكستان الغربى . ثم بدأت تضعف و تضمحل بالتدريج حتى انها انقرضت بعد تسليم عبد القادر نفسه الى الحكومه المغوليه سنة ١٤٤٤ هـ .

استحسن الملوك و الأئراء في أول الأمر دعوة بايزيد و قدروا اصلاحه الدينى فمنحوه بذلك هدايا و تحفا . و لكنهم لما رأوا أن القبائل كلها تلتف حوله و شاهدوا آفا من الرجال و النساء يتحافتون عليه و يدخلون في بيعته تنكروا له و جعلوا يقاومون حركته الاصلاحية و يحاربون دعوته الدينية . و قد بالغوا في اضطهاده و محاربتة فلم يتركوا حيلة إلا استعملوها لقتله و الفتك به . و قد استعانوا في استئصال دعوته برجال الدين و استعملوهم لغايتهم تلك السياسيه و شجعوهم على مقاومه الحركة الروشانيه . فبدأ هؤلاء المتدينون يضعفون قوة بايزيد الانصارى الدينية بين القبائل و يقللون

نفوذه الروحي في أعين العامة. و شرع هؤلاء المتعصبون يحذرون الناس من أتباع بايزيد الانصارى و يحكمون بكفرهم من انضم الى الفرقة الروشانية. و طفقوا ينسبون إلى المذهب الروشاني الصوفي عقائد لم تكن فيه. و يضيفون اليه أقوالا لم يقلها مقلدو هذا المذهب بل أخذ هؤلاء المتعصبون يحرفون المذهب الروشاني و يشوهون مبادئه الصوفية بأقوال لم تكن تمت اليه بصلته. و يرمون الدعوة الروشانية بأكاذيب لا تقوم على الحقائق الثابتة كاتهام "أخوند درويزه"، اياه بأنه ادعى الألوهية و النبوة و انه اعتقد بتناسخ الأرواح و حل الزنا... (١)

و قد اثبتت بطلان هذه التهم و كذب تلك الأقوال الملققة مؤلفات بايزيد الانصارى التي اكتشفت أخيرا بعد اختفائها دهورا طويلا في المكاتب المجهولة و سأناقش هذا الموضوع بالتفصيل عند البحث عن مذهبه في التصوف و آراء النقاد فيه.

”نسبته“

اختلف الكتاب في نسب بايزيد الانصارى : رأى بعضهم انه كان من قبيلة ”بركى (٢)“، و لكنه اصطنع أسلافه انتسابهم الى الانصار ليكسبوا بذلك

(١) تذكرة الاربار والاشرار لاخوند درويزه ص ٢٠٢.
 (٢) انتشر افراد هذه القبيلة في البلاد، سكن بعضهم في ”لوكر“ الواقعة في افغانستان و استوطن البعض الآخر في مدينة ”كاني كورم“ الواقعة في باكستان كما يوجد بعض الأسر من هذه القبيلة في جالندر - الواقعة في الهند .. والمدن الأخرى. و الذين يسكنون في ”كاني كورم“ و ”لوكر“ لهم لغة خاصة تسمى اللغة الأرمزية أو البركية إلى جانب لغتهم الجيتونية. يتميز افراد هذه القبيلة بانهم جنود بواسل كان عددها في سنة ١٨٠٩ م ثمانية آلاف بيت. تدعى هذه القبيلة انتسابها الى العرب ولكنه يقال انهم من نسل ”الكردي“ و انهم من جنس ”تلجك“ أو ”الفرس“ عموما. و لما قام سلطان محمود بغزو الهند في أوائل العصر الحادى عشر اظهر رجال هذه القبيلة شجاعته فائقته في الحرب فرضى منهم سلطان محمود و اقطع لهم مدينة ”كاني كورم“ بعد ان اختاروها فعاشوا هناك منذ ذلك الوقت حتى الآن راجع ”الاسيا الوسطى“ ج ٢ ص ١٩٩ لعبيك گريگر (L. C. M. Mac Gregor) الموجود في مكتبة متحف بشاور.

عطف العامه" و لينظر الناس اليهم بنظرة الاحترام لانتمائهم الى أبي ايوب الانصارى الصحابى الكبير الذى آوى النبي صلى الله عليه و سلم لما هاجر عليه السلام من مكة الى المدينة". (١)

بينما يرى البعض الآخر أنه كان أنصاريا فجا غادر جده ابراهيم دانشمند بغداد بعد وفاة مرشده الشيخ شهاب الدين السهروردى (٥٤٠ - ٥٦٣٢هـ) و قدم الى ملتان حيث أقام عند الشيخ بهاء الدين زكريا الملتانى (٥٦٦ - ٥٦٦هـ) المتمسك بالطريقه السهرورديه.

ولما اراد الشيخ ابراهيم دانشمند الرجوع الى بغداد طلب اليه حليفه فى الطريقه الشيخ بهاء الدين زكريا (٢) أن يذهب الى قبيله "بركى"، القاطنه فى مدينه "كانى كرم"، المذكورة التى دخل أفرادها فى بيعه الشيخ بهاء الدين زكريا و كانت هذه القبيله فى حاجه شديدة الى معلم دينى و مرشد روحى ليهذب أخلاقهم و يقودهم الى طريق الحق و يعلمهم امور الدين الحنيف.

فذهب الشيخ ابراهيم دانشمند إلى مدينه "كانى كرم"، و أقام فى قبيله "بركى"، المعروفه بين قبائل أفغان بقبيله "ارمر"، الى ان توفى الى

(١) راجع راورتى (C. H. G. Raverty) "قواعد بختو" ص ٣٢ و دى بتان "ل كبرو (Caroe) ص ٢٠٠.

(٢) هو بهاء الدين زكريا الملتانى (٥٥٦٦ - ١١٩٠م) ولد فى كوت كرور ثم سافر الى خراسان و منه الى المدينه المنوره و بقى تلميذا للشيخ كمال الدين محمد اليمانى و قد زار بتمقدس ثم رجع الى بغداد حيث بايع الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردى (٥٣٠ - ٥٦٣٢هـ) ثم جاء الى ملتان بامر شيخه و قام بهدايه الناس و ارشادهم فكان لوعظه و نصيحته اثر بالغ فى ملتان و بلوچستان و سند و كثر اتباعه فى الهند و توفى ٥٦٦١ - ١٢٦٢هـ ثم قام خلفاؤه بهدايه الناس و ارشادهم فى القارة الهنديه.

رحمة الله وبقى أولاده في هذه القبيلة إلى يومنا هذا. (١)

هذه آراء الكتاب في نسب بايزيد و تلك حججهم لاثبات ما رأوه و الذي لا مجال للشك فيه هو أن بايزيد الانصارى و أجداده كانوا مصلحين ورعين عاشوا في مدينة كاني كرم و اندمجوا بقبيلة "بركى"، و القبائل المجاورة من قوم مسعود (٢) و اختلطوا بهم حتى اصبحوا منهم فلم يبق بينهم و بين تلك القبائل أى فارق امتيازي سواء ان كان في اللغة و العادة أو التقاليد و الأخلاق.

و لا يبعد كونه أنصاريا أصلا اذ يوجد بين قبيلة ارمر و قبائل مسعود الملتفة بمدينة "كاني كرم"، الى الوقت الحاضر أفراد و أسر ينتمى بعضهم إلى قريش و بعضهم الى الأنصار و البعض الآخر إلى على كرم الله وجهه و لم تنكر من نسبهم هذا لا قبيلة ارمر و لا قبائل مسعود المختلطة بقبيلة ارمر. اما كيفية وصول الأسرة الانصارية الى مدينة كاني كرم و تاريخ استقرارها فيها فهذا موضع شك اذ لم تصل الينا وثائق تاريخية ثابتة تقرر كيفية وصولها و تعيين تاريخ استقرارها في مدينة كاني كرم حتى نعتمد على وثوقها و نجزم بصدقها.

و قد ذكر مؤلف "حالاته"، (٣) أن بايزيد الانصارى يتحد مع أبي

(١) انظر مقاله الدكتور محمد جهانگیر في مجلة "الكلية الشرقية"، فبراير

سنة ١٩٥٥ م.

(٢) هذه قبيلة كبيرة تسكن في المنطقة الجنوبية من باكستان الغربى و تنقسم الى ثلاثة فروع و هي: مانزى، باول زى، شامن خيل. اشتهر رجالها بالشجاعة و البسالة في الحروب.

(٣) هو كتاب ضخيم كتبه على محمد بن أبى بكر القندهارى فيه سيرة بايزيد الانصارى و أولاده و هو مرآة صادقة لحياة بايزيد و تسجيل صاف للحركة الروشانية.

أيوب الانصارى فى جده الحادى و العشرين و هذا نصه :

بايزيد بن عبدالله القاضى بن الشيخ محمد بن الشيخ بايزيد هونده بن الشيخ سراج الدين بن چراغ الدين بن الشيخ ابراهيم دانشمند بن الشيخ زاده حمزه بن خواجه محمود بن الشيخ داؤد بن الشيخ شمس الدين بن الشيخ خليل بن الشيخ لقمان بن الشيخ خداداد بن الشيخ منصور بن الشيخ محمد بن خواجه زيد احمد الانصارى بن الشيخ منصور محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ زاده بن خواجه أبى أيوب الانصارى.

مولده : ٥٩٣١ - ١٥٢٥ م

استقر بعض الأسر الانصارية فى مدينة كانى كرم المذكورة بينما استوطن البعض الأخر فى مدينة جالندر الواقعة فى الهند. و كان أجداد بايزيد الانصارى يقومون بالتجارة يشتررون الخيل من افغانستان و يبيعونها فى الهند و يأتون بالبضائع الهندية الى افغانستان فسافر مرة جده، الشيخ محمد فى مهم تجارى الى جالندر و أعجب هناك بـ "ايمنه"، بنت أخيه الشيخ أبى بكر الذى استوطن فى جالندر فخطبها الى أحد ابنائه بعد ان شرط عليه الشيخ أبوبكر ان يرسل ابنه الى جالندر. ثم حضر ابن الشيخ محمد الى جالندر و تزوج "ايمنه"، هناك فأنجب منها بنتا ثم توفى الى رحمة الله. و لما بلغ خبر وفاته الى أخيه عبدالله فى "كانى كرم"، حزم متاع سفره و قدم الى جالندر حيث عقد على ايمنه زوج أخيه المتوفى. فانجب منها بايزيد سنة ٥٩٣١ - ١٥٢٥ م. و لما كانت لعبد الله زوجة أخرى فى مدينة كانى كرم الى جانب ثروته الضخمة هناك رجع الى وطنه الاصلى "كانى كرم"، بعد ولادة بايزيد الانصارى بأربعين يوما تاركا زوجته و ولده فى مدينة جالندر.

(مغادرته الهند الى مدينة كاني كرم)

و عند ما أغار بابر على الهند سنة ١٥٢٦ م و طرد السلطان ابراهيم اللودي الافغانى بعد معارك دمويه و استولى على البلاد اضطرت الأسر الافغانيه و اصبحت هدفا للعدوان المغولى و تحوضت لضروب الصحن و المظالم فقررت أغلب الأسر الافغانيه السفر الى أفغانستان و عازمت على مغادرة الهند التى لم تأمن تلك الأسر فيها لا على الاموال فبدأت القوافل الافغانيه تلتجى الى أفغانستان و المناطق الجبلية طالبه الامن و الحياه الحادئه هناك ، و لما رأى الشيخ خداداد أخو عبدالله ظلم المغول على الأسر الافغانيه و نهبهم و سلبهم اياها لجأ أولاً مع أسرة أخيه عبد الله الى بهار حيث كانت القوى الافغانيه رايضه هناك . ثم قرر السفر الى كاني كرم بعد وقوع بهار فى قبضه المغول فصحب إحدى القوافل الافغانيه المتجهه الى افغانستان و أخذ معه زوج أخيه 'ايمنه'، و ابنه 'بايزيد، و هو ابن خمس سنوات اذ ذلك . و قد تعرضت هذه القافله فى الطريق للهجوم المغولى و حصلت بمجهود الشيخ خداداد على تصريح من بابر نفسه بعد ان دفعت أموالاً جمه عوض هذا التصريح . وصل الشيخ خداداد الى مدينة كاني كرم بعد جهود جباره و متاعب مهلكه و سلم هناك بايزيد و امه ايمنه الى أخيه عبدالله و بذلك خلس نفسه من حفظهما و كفالتهما .

(نشأته)

و لما كان لعبد الله زوجة أخرى و كان يعتنى بها أكثر من عنايته بـ "ايمنه"، و لم يكن ينظر اليها نظرة العنايه، وقعت بينه و بين "ايمنه"، أم بايزيد المشاحنه و المشاجرة و اشتد الخلاف بينهما حتى اصبحت الحياه

الزوجية" جحيما. فاجتمع الى عبد الله أقرباؤه و طالبوه بالمساواة أو الطلاق و هددوه بالقتل ان لم يخضع لأحد الأئرين و لم يستطع عبد الله المساواة بين الزوجين فطلق ايمنه" و رجعت الى "جالندر"، و طنبا الاصلى. منذ ذلك الوقت بقى بايزيد الانصارى يتيما من قبل الأئم كما كان يتيما من قبل الأب فى جالندر اذ لم يكن أبوه موجودا هناك. و بذلك حرم من عطف الأئم و حنانها و هو ابن سبع سنوات اذ ذاك و كان لهذا الحرمان أثر بالغ فى حياة بايزيد و اختياره العزلة" و التفكير فى الكون و خالقه.

كانت فاطمة" زوج أبيه قاسية" عليه كانت تنظر اليه نظرة الكراهة" و الحقارة و كان قلبها يملؤه الحسد و البغض له دائما و قد أضاف الى بغضها و حسدها انه كان ذكيا فى الدرس و بارعا فى التعلم أكثر من أخيه يعقوب بن فاطمة". فكانت تحسده على هذا الذكاء و تكره منه تلك المحافظة" فحاولت ان تحرمه من درس "ملايينده"، تلميذ أبيه و جاهدت ان تشغله بالأشور المنزلية". و لم يستطع أبوه عبد الله أن يخفف من كراهة" فاطمة" أو يقلل من تقمتها له. بل انه لم يستطع أن يعطف عليه أمام فاطمة" خوفا منها و كان مضطرا ان يسلك معه هذا السلوك القاسى و ان يعامله تلك المعاملة" الخشنة" حتى يرضى زوجه فاطمة" التى كانت تحسده ابن ضربتها و تبغضه — كما هى عادة كل ضرة — و ليس أدل على ذلك من أنه قال له يوما عند ما و جده بعيدا عن البيت و غائبا عن نظر فاطمة": "اخدم فاطمة" حتى تجبك و أنا لا أعطف عليك أساسا كى لا تحسدك فتضرك بشيء". (١)

حاول بايزيد الانصارى أن يكسب حب فاطمة" فبدأ يخدمها باخلاص و

صدق فخفت قسوتها عليه لمدة ولكنها لم تلبث أن عادت الى كراهتها اياه و بغضها له عند ما أدركت أنه يتفوق في العلم على ابنها يعقوب و انه يتقدمه في الحفظ و القراءة و اشتد بغضها له و ازدادت نقتها عليه حتى أنها اتهمته بسرقة بعض متاعها فبرأ بايزيد نفسه من هذه التهمة^(١) بالحلف . و قد تركت هذه التهمة في نفسه آثارا مؤلمة و كانت لتلك الوصمة صدمة كبرى في حياته الأولى .

هكذا نشأ بايزيد الانصارى في بيئه لا تلائمه و ترعرع في أسرة لا ترحمه ، حرم من حنان الأم و هو صبي و أخذ بعيدا من بلد ولد فيه . لم يعطف عليه أبوه خوفا من زوجه فاطمة و لم تقصر فاطمة في التشجيع عليه و تضييقه ، لذلك لم يأنس بايزيد الانصارى الا الى عمه خداداد الذى رحمه و عطف عليه بل كان هذا العم الرحيم ينظر اليه نظرة أبنائه و لكن الحظ لم يواطىء بايزيد اذ قتل هذا العم المعطوف ب ” بيتور“ ، (٢) فبكى بايزيد بكاء مرا على عمه خداداد الذى طالما عطف عليه . و انعدم بعده في الأسرة بل في الأقرباء كلهم من يحنو عليه و يرحمه . فانطوى بايزيد على نفسه و اختار العزلة عن الناس و استكثر من قراءة القرآن و انكب على الدراسة و المطالعة فقرأ على ابيه و ملا باينده القرآن و القدرى و لباب الأخبار و غيرها من الكتب الدراسية و الظاهر انه قرأ الكتب الأولى في الفقه كما درس بعض التفاسير و كتب التصوف و كان ذكيا جدا حتى انه اعترف بعبقريته و ملكته النافذة عدوه اللدود ’ اخوند درويزه ، اذ قال : ” لقد تفوق في الدلائل

(١) انظر حالنامه ص ١٩ .

(٢) هذه بلدة تقع في وادى ” توجى“ ، المنطقة الشمالية من باكستان الغربى .

العتلية الى درجة انه ما كان يستطيع أحد ان يباحثه و يجادله (١) و لم تكن حماسته للدين أقل من حماسته للدرس بل ان ولومه بالعبادة و شغفه بالذكر قد اقلق أباه الذى اراد منه ان يكون قاضيا مثله يحكم بين الناس و يستعلمهم فى الاموال.

اشتدت رغبته بايزيد فى العلم و غلب عليه حب الدين حتى انه خرج من بيته متجها الى مكة المكرمة قاصدا حج البيت و حصول العلم من مصدره و لما وصل خبر ذهابه الى ابيه عبد الله ذهب وراءه هو وابنه يعقوب و استرجعاه من الطريق و قال له ابوه عبد الله: " ان حجك لا يقبل اذا لم تحصل على الاذن منى (٢)". كان والد بايزيد يريد ان يشغله بأبور الدنيا و ان يصرفه الى الزراعة و التجارة، لذلك منعه من الحج و استكمال العلم فى مكة المكرمة و كان قاسيا عليه و صارما فى السلوك معه حتى انه هدده بالقتل عند ما بلغ اختلافهما الى اقضاء (٣).

و لما رأى بايزيد الانصارى ان حياته الداخلية غير مستريحة بل هي مهدده بالمشاكل العائلية و معرضه للأخطار من قبل فاطمة زوج أبيه أخذ خطوة جريئة لتجنب عن هذه المشاكل و قرر الابتعاد من تلك الأخطار و المصائب. طلب من أبيه أن يوزع الثروة بينهم و ان يعطى منها نصيبه ليعيش عيشه مستقلة منفردة و ليقضى حياته فى بيت مستقل هادى خال عن المشاجرة و المناقشة. عارض أبوه عبد الله هذه الفكرة فى أول الأمر معارضه شديدة و لكن أقارب بايزيد و شيوخ المدينة اجتمعوا الى عبد الله بأن يعطى

(١) انظر تذكرة الأبرار و الاشرار ص ٢١١.

(٢) حالنامه ص ١٧

(٣) حالنامه ص ١٢

نصيب ابنه بايزيد وان يترك وشأنه فاضطر عبد الله و لم يجد مفرا من توزيع الثروة فأعطى بايزيد نصيبه من المال فجاء في حصه بايزيد عبد و طلب اليه ابوه ان يترك العبد في حوزته مؤقتا و وعده برده فيما بعد ثم امتنع من رد العبد اليه ناقضا وعده. فغضب بايزيد و كره من أبيه ذلك السلوك السيء فترك درس القدورى و لباب الأخبار من والده. ثم بنى بايزيد بيته الخاص و شرع يعمل و يكسب لنفسه. ثم تزوج بى بى شمسو بنت عمه الشيخ حسن و بدأ الحياة مستقلا في بيت خال عن المشاجرة و المشاحنه و المعاكسه (١)

بعثه عن المعرفة

كان عند بايزيد حب الاستطلاع منذ صباه. سأل عمه خداداد و هو أربع سنوات: "يا عمى، كل شئى في العالم له ذات خاصة مثل الأرض و السماء و الليل و النهار و الجبال و الأشجار - الخ - فمن هو "الله" و اين هو و كيف هو"، فأجابه العم بأن الله موجود و حاضر و ناظر الخ (٢). أحب بايزيد الانصارى صحبه العلماء و الصلحاء و هو صبي و استمع الى وعظهم و ارشادهم أينما وجدهم. و استكثر قراءة الأوراد و الأذكار و سهر الليالى في الصلاة و العبادة و الذكر الخفى. فكر في الكون و خالقه و نظر الى المجتمع و اعمالهم و اقوالهم. سمع من بعض المشايخ أن الانسان لا يمكن ان يصل الى معرفه الحق الا عن طريق المرشد الكامل كما قيل: "من لا شيخ له لا دين له (٣)". فبدأ يبحث عن المرشد

(١) راجع التفصيل في حالنامه ص ١٩ - ٢٨

(٢) حالنامه ص ١٢.

(٣) راجع صراط التوحيد ص ٣٨.

الكامل و المصلح الروحي لبيايه و يتبع طريقه و لكنه رأى أن أغلب شيوخ الطرق كانوا يميلون الى الدنيا أكثر من ميلهم الى الدين و كانوا يجعلون الدين وسيلةً لكسب المال و خداع عامة الناس فلم يقع نظره على رجل يصلح للمبايعه و المتابعه الى ان وجد الشيخ اسماعيل ابن عمه خداداد الذى زهد فى الدنيا و عرف بين الناس بالورع و التقوى و اشتهر بين القبائل بالمصاح الروحي و المهدب النفسى و كان خواجه اسماعيل يرشد الناس و يهديهم الى معرفه الحق و يأمرهم بالاعتكاف الذى كان فى نظره قنطرة الوصول الى معرفه الحق و الذى كان يتطلب من الانسان التوجه التام الى الله تعالى بكل حواسه فكان طبيعيا أن يؤثر هذا الاعتكاف فيمن التزم على نفسه هذه الرياضه النفسيه و ذلك التتشف الجسمى. لذلك كانت طريقه خواجه اسماعيل رياضه حسنه لها تأثير حسن على الذين انضموا الى حلقته. اراد بايزيد الانصارى ان يبايع خواجه اسماعيل ابن عمه و أن ينضم الى حلقته فاطهر هذه الرغبه لأبيه عبدالله و استأذنه فى ذلك فمنعه أبوه من اتباع خواجه اسماعيل و حذره من ذلك بحجه ان ذلك العمل منه ينقص من نفوذ ابيه على الناس و يجعله منحطاً فى أعين العامة و قال: " اننا كنا اثنى عشر أخوا و كنت أنا أوفرهم علماً و اكثرهم شهرة فلو تبايع ابن أجدى و جعله مرشداً لك ليسببى هذا حتماً الى سمعتى و يكون وصمه لا محاله على ناصيتى فلا تفعل هذا البتة" (١) ثم نصحه بأن يذهب الى ملتان و يبايع هناك الشيخ بهاء الدين زكريا الملتانى و وعده باعطاء مصاريف السفر و الهدايا التى جرت العادة بتقديمها الى الشيخ بهاء الدين من قبل أتباعه فعارض بايزيد هذه الفكرة معارضة شديدة. و رفض ان يبايع الشيخ بهاء الدين زكريا الملتانى

و لم يرغب في تقديم الهدايا اليه التي لا يحصل صاحبها على شيء من المعرفة و التوحيد بل يجد في عرضها عند الشيخ بهاء الدين زكريا القلنسوة و شجرة النسب فقط .

و لما يش بايزيد من ابيه ليأذن له في مبايعته خواجه اسماعيل التمس من خواجه اسماعيل ان يعلمه و ان يوصيه بالا و راد و الاذكار من غير ان يباعه و ينضم الى حلقتة ولكن خواجه اسماعيل رفض التماسه هذا و قال ” لا يمكن ان اعلمك او اوصيك بالا و راد و الاذكار إلا بعد ان تدخل في بيعتي و تنضم الى حلقتي (١) “. و قال له خواجه اسماعيل : ” كل من حبس النفس بالذكر الخفي وجد الحسنات و الدرجات العليا (٢) “. لانه كان يعرف ان بايزيد يقوم بهذه الرياضة من تلقاء نفسه .

عزلته

و لما يش بايزيد الانصارى من ابن عمه خواجه اسماعيل و تأكد انه لا يوصيه بالذكر كما كان يوصى به أتباعه الا بعد ان يدخل في بيعته و يعلن أمام الناس اتباعه له تألم كثيرا بسبب هذا الحرمان و حزن جدا ثم فكر في نفسه و بدأ في البحث عن طريقه توصله الى التوحيد و الى معرفته الحق فاستفتى في هذا الشأن قلبه فأفتاه القلب بان يجعل القرآن مرشده و إمامه يتبعه و يقلده ثم نظر الى طريقه خواجه اسماعيل و اعماله فرأى انه يوصى أتباعه بقله الاكل و النوم و بالعزلة عن الناس فاختر لنفسه هذه الطريقة و بدأ يأكل قليلا و ينام قليلا و يجتنب الناس و يذكر الله ليلا و نهارا .
بينما كان بايزيد الانصارى منهمكا في الذكر الخفي مغرقا في البحث عن

(١) صراط التوحيد ص ٤ حالنامه ص ٣٧ .

(٢) حالنامه ص ٣٧ صراط التوحيد ص ٤ .

المرشد الكامل رأى في المنام ان خضر عليه السلام طلب منه ان يكون شريكه في الدين و اخاه في الاسلام ثم سقاه ماء الحياة (آب حيات) بعد محادثته و مكالمته جرت بينهما. (١)

فابتهج بايزيد بهذه الرؤيا جدا و أصبح عنده أمل قوى في الوصول الى معرفة الحق و ازداد شوقه الى عبادة الله و استكثر من الذكر الخفى و بدأ يزور مقابر الاولياء و يقره عند قبورهم الاذعية و آى القرآن الكريم و فضل صحبه العلماء و الشيوخ و اشتغل بالذكر الخفى و قطع شوطا كبيرا في مراحل السلوك حتى انه دخل نهائيا في مرحلته ذكر "الاسم الاعظم" و هو في نظر بايزيد كلمه التهليل و الكلمه الطيبه (٢).

و كان يقول : انى كنت في زمن الصبا في مرحلته اسم اليقين و في زمن المراهقه في مرحلته علم اليقين و في زمن الشباب في مرحلته عين اليقين . سمعت في صباى ان الله واحد و انه سيكشف عن ذاته تعالى في الجنه المؤمنين ثم قرأت في زمن المراهقه ان الله واحد لا شريك له . و ان وجوده واحد مع وجود الموجودات و قد تيقنت في حاله الشباب أنه لا وجود سوى وجوده تعالى و أن وجود جميع الكائنات و الذرات لا تفارق عن وجوده تعالى نظرا الى قوله تعالى : " قل انما ادعوربى و لا أشرك به أحدا (٣) ". و قد اتضح لى ان الاشتغال بالذكر الخفى هو موافق للحديث بل هو عين العمل بالحديث، لأن النبى عليه السلام قال : " خير الذكر الذكر الخفى و خير الرزق ما يكفى (٤) " .

(١) راجع صراط التوحيد ص ٧ و حالنامه ص ٣٧ .

(٢) رواه احمد و ابن حبان . انظر التشرى بمعرفة احاديث التصوف ص ٦٢ .

(٣) الجن ٧ : ٢٠ .

(٤) رواه احمد و ابن حبان . انظر التشرى بمعرفة احاديث التصوف ص ٦٢ .

فبدأت اصحاب العلماء والزهاد والنسائك و اخذسهم راجيا منهم معرفة الحق . و كنت أبحث في ذلك الوقت عن المرشد الكامل و لكنى لم أجدته حتى تفضل الله على و تجلى لى الرب و رفع ستار قلبى و اطلعنى على عين اليقين فرأيت ذاته تعالى بعين القلب فى كل جهة بلا مثيل و لم أر أى شىء منفردا و مستقلا عن ذاته تعالى و لم أسمع أى صوت بلا تسبيحه تعالى بل لقد رأيت علامته هذه الايه : ” و إن من شىء إلا يسبح بحمده و لكن لا تفقهون تسبيحهم “ (١) ، فى نفسى واضحة جلية (٢) .

فترة التحول

فكر بايزيد فى الكون وخالقه و اعمق النظر فى الوجود و سوجه فلم ير للاشياء وجودا منفردا مستقلا عن ذاته تعالى لانه كان يعتقد انه لا يمكن ان يتحرك الشىء الا بالمحرك و لا يوجد محرك حقيقى الا الله تعالى فانه هو المحرك الحقيقى و هو الموجود المستقل و ايقن انه لا استقرار للاشياء و لا سكون لها . و انما الا استقرار الحقيقى و السكون الدائمى لله تعالى وحده و انتهى به تفكيره الصوفى الى مرحلة الذين يعرفون الله بالله و يرون ذات الله بذات الله و يسمعون باذنه تعالى و يتحدثون بلسان الله تعالى (٣) .

واظب بايزيد على هذه الرياضة و استمر فى الذكر الخفى اثنتى عشرة سنة لم يلتفت خلالها الى شىء سوى ذكر الله و لم يقم فيها بعمل غير عبادة الله تعالى . ذهب الى الغايه و اعتكف هناك فى حجرة خربه يومين . ثم رجع الى بيته تلبية لرغيه اتباعه الذين اصروا عليه بالرجوع الى بيته

(١) بنى اسرائيل ١٧ : ٤٤ .

(٢) صراط التوحيد ص ١٠ .

(٣) انظر حالنامه ص ٤٥ .

فرجع وقام بالاعتكاف في بيته وأخذ يسهر الليالي في العبادة و الذكر الخفى و قد طرأ عليه خلال هذه الفترة و هى مدة اثنتى عشرة سنة" كىفیات شتى: كغىابه عن النفس و سماعه التسبیح من كل شىء و رؤيته معظم الناس مبتلین بالشرك الخفى و النفاق متمسکین بالتقالید الفاسدة و العادات الباطله" و قد كانت هذه المدة زمن تكوینه النفس اذ لم یكن لیستقر على حاله" واحدة فیها بل كان یتقلب و یتحول من طور الى طور. طلب معرفه" الحق فرأى انها لا تحمل الا عن طریق المرشد الكامل فبدأ البحث عن المرشد الكامل و لكنه لم یوفق ثم اختار لنفسه طریقه" ظنھا موصله" الى معرفه" الحق و هى العزله" عن الناس و قله" الاكل و النوم و كثرة العبادة و الاشتغال بالذکر الخفى.

و كان یشتط و یعنف احيانا فى الدين فما كان یسلم على الناس ظنا منه أنهم ملوثون بالشرك الخفى و النفاق و انهم منهمكون فى التمسك بالتقالید الفاسدة و العادات الباطله" ثم بدأ یلین و یرق للناس و یخفف تشطیطه فى الامور الدينیه فجعل یسلم على الناس بل انه ما كان یجب ان یضر أحدا حتى انه كان یحتاط ان لا یدوس النمله" تحت قدمیه قدر المستطاع. هكذا كان بایزید فى بدايه" أمره غیر مستقر على حاله" واحدة.

سفره الى قندهار

اختار بایزید الانصارى العزله" عن الناس و قام بالاعتكاف و الصوم النفلی و استمر فى البحث عن المرشد الكامل و ترك القيام بأمر الدنيا و انصرف الى الذكر الخفى و مجاهدة النفس راغبا عن الدنيا و متاعها. فاقتراح عليه زوجه ان یقوم بالتجارة" كما كان یزاول هذه المهنة" من قبل حتى یکسب منها نفقه" البيت و الضیوف و استصوب بایزید هذا الاقتراح و خطرله

أن السفر أفضل لعله يجد المرشد الكابل . فأخذ بعض النقود ورافق القافلة المتجهه الى قندهار ولما وصل الى قندهار ترك القافلة و خرج باحثاً عن المرشد الكابل فلم يجد غير رجل صالح عند ضريح أحد الشيوخ . قيل له في شأن هذا الناسك انه لم يتكلم منذ ثلاث سنوات و لم يثبت هذا الناسك في نظر بايزيد نافعا للناس فتركه . و تعرض رجال بيرم خان (١) للقافلة فأخذوا منهم ست حصص و تركوا لهم خمس حصص . وأخذوا من مال بايزيد ثلثين و تركوا له الثلث . فاجتمع أصحاب القافلة برفقه بايزيد و ذهبوا الى بيرم خان و طلبوا منه العدل و الانصاف و قد بالغوا في الخضوع أمامه حتى وضعوا ركبتيهم على الأرض فوعدهم بيرم خان برد مالهم ولكنه أخلف في وعده . و في نفس اليوم شعر بايزيد عن طريق الالهام من الله تعالى بان عمله هذا و هو الخضوع التام أمام مخلوق لاجل الدنيا كان سوء أدب منه . و ما كان ينبغي له ذلك اذ انه يقره الاسم الاعظم و يعد نفسه من الواصلين ثم امر عن طريق الالهام ان يعتكف في بيته خمس سنوات متواليه يذكر الله فيها ويناجيه لا يذهب فيها عند احد و لا يقوم باعمال الدنيا والا لعرض نفسه لغضب الله (٢) .

و لما رجع بايزيد الانصاري من سفر قندهار بنى حجرة خاصة في داخل البيت و اعتكف فيها خمس سنوات متواليه يذكر الله فيها و يناجيه و ضبط النفس و قمع الرغبات و الأهواء النفسية و أخرج من قلبه حب المال و الميل الى الدنيا و اختار لنفسه العيشه الضيقه و الحياه الخشنه و فضل

(١) هو نفس بيرم خان الذى روى اكبر المعولى ثم قتله اكبر فيما بعد شرقتله .

(٢) انظر التفصيل فى صراط التوحيد ص ٢٠ و حالنامه ص ٨٢ .

(٣) انظر صراط التوحيد ص ٢٤ .

التشرف في الأكل والنوم والتزم العزلة عن الناس وابتعد عن القلب الشك والطمع والتهاك على الدنيا فاصبح قلبه قويا بنور الايمان و اشتد عزمه وتوكل على الله في كل شئ^١.

دعوته الى التوحيد ومعرفة الحق

وبعد اصلاح النفس رأى بايزيد ان يقوم بدعوة الناس الى التوحيد و هدايتهم الى المعرفة و ان يخرجهم من الشرك الخفى و النفاق و يصرفهم عن خداع الناس و التهاك على الدنيا الى التوحيد و المعرفة ، فبدأ يلتن الناس الذكر الخفى و يأمرهم بالاعتكاف و يوصيهم بقله الأكل و الكلام و ينصحهم بسهر الليالى و العزلة عن الناس و يقول لهم: كل من بايعنى وقام بمجاهدة النفس و عمل بالقرآن و الحديث و اتخذ طريقته المشايخ مسلكا له فانه يفوز لا محالة بالشريعة و الطريقة و الحقيقة و المعرفة و القرية و الوصلة و علم التوحيد و انه سيخرج من نجاسة الشرك الخفى و الجلى و سيقبل منه طاعته و عبادته و حسناته و سيجد قلبه القرار و راحة الايمان و سيصبح من زمرة الموحدين(١).

استجاب بعض الناس الى دعوة بايزيد هذه و خالف دعوته تلك البعض الآخر فكان الناس يفدون الى بيته بعضهم للبيعة و بعضهم للزيارة و البعض الآخر لأمور أخرى و قد نفذ زاده خلال تلك الفترة - و هى مدة اعتكافه - ولكنه لم يضطرب و لم ينزعج بل انه اصطبر و توكل على الله مقتنعا بهذه الآية: "و أن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لفتنهم فيه (٢).

و قد من الله عليه و انعم عليه من فضله فكان الناس يرسلون الى بيته

(١) انظر صراط التوحيد ص ٢٤.

(٢) الجن ٧٢: ١٦ - ١٧.

طعاما معدا مطبوخا (١).

و اشترك مع بايزيد في هذا الاعتكاف زوجه "بى بى شمسو" و مريده الخاص "على شير" ثم انضم اليهم فيما بعد "شادى خان و نيك بخت" و كانت بى بى شمسو تقوم بتقديم الطعام الى بايزيد و على شير اثناء الاعتكاف و لكنها لم تكن تكشف من وجهها بل كانت محجبه امام غير المحرم (٢)، و قيام الناس بخدمه الضيوف عادة عامه في هذه القبائل حتى انك لترى نساء القبائل في الوقت الحاضر أيضا يقمن بخدمه الضيوف وقت الضرورة.

و لما كان بايزيد معتكفا و لم يتمكن من زيارة أبيه دعا والده الى بيت ليتشرف بلقائه و لكن والده امتنع من زيارة بايزيد قائلا : "انى غير راض عن بايزيد لانه رفع الحجاب بين بنت اخى ، زوجه ، و بين غير المحرم". فارسل اليه بايزيد أحد أتباعه و اصر عليه سرا را حتى رضى والده بالحضور الى بيت بايزيد. و لما حضر قال لبايزيد : "لما ذا تترك زوجك تظهر امام غير المحرم و تقوم بخدمه الغير". فأجابه بايزيد : بانه لم يسمح قط لزوجه ان تظهر امام الناس مكشوفه الوجه و لكن تخدمهم وقت الضرورة و هى محجبه". فاقتنع بعد ذلك والده و لكنه قال له : "باى شىء تأمر أتباعك". فرد عليه بايزيد بانه يأمرهم بالذكر الخفى استجابة لقوله تعالى : " و اذكر ربك في نفسك تضرعا و خفيه" (٣) و عملا بقول النبي عليه السلام (٤) "خير الذكر الذكر الخفى و خير الرزق ما يكفى". فرضى عنه

(١) انظر حالنامه ص ٨٦ و صراط التوحيد ص ٢٧.

(٢) انظر حالنامه ص ٨٥.

(٣) الاعراف ٧ : ٥ : ٢.

(٤) رواه احمد و ابن حبان. انظر التشرف بمعرفة احاديث التصوف ص ٦٢.

والده و أقره على طريقته و نصحه بأن يثبت على الشريعة و ألا يأذن لزوجه بالظهور أمام غير المحرم فاجابه بايزيد بانه يعمل وفق الشريعة و الايات القرآنية و الاحاديث النبوية أمام اقوال الناس فيه فلا شأن له بها (١).

ثم ازاد اتباع بايزيد من الرجال و النساء و انتشرت دعوته في القرى المجاورة و ذاع صيته فحسده بعض المتعصبين الذين كانوا يعدون انفسهم شيوخا كماء و يدعون أنهم أصحاب الطرق و بدءوا يقومون بالدعايه ضدّه و يذيعون وراءه أقوالا مبلّغه و يتهمونه بالخروج عن الدين و يسمونه بالانحراف عن التقاليد و العادات المألوفه و اشتطوا في هذه الدعايه و منعوا الناس من متابعه بايزيد قائلين ان متابعتة ضلاله و اتباعه انحراف عن الدين و كان على رأس هولاء المتعصبين عثمان بن "منه"، و كان عثمان هذا يقول للناس: "كل من اتبعني فسأريه طريقه الدين التويم لامحاله"، (٢).

نظر بايزيد الى مجتمع حوله فلم ير فيه نزعه الاخوة و الاصلاح و لم يجد في الناس رغبه في الدين، و الاقبال عليه بل وجدهم يتهاكون على الدنيا و جمع المال. نظر الى الملوك فوجدهم مستغرقين في الملاهي متحاربين لاجل الدنيا تاركين الدين و فرائضه. كذلك نظر الى الشيوخ و اصحاب الطرق فوجدهم يكيّدون للناس و يخدعونهم باسم الدين و يستغلون أسوالهم بالحيل الشتى و رأى الزهاد و النساك يبيعون زهدهم و نسكهم بالدنيا و متاعها و لم يخلوا من الرياء و الخداع و وجد القاضي و المفتي - و قد تربي و ترعرع في بيت القاضي و هو ابوه عبدالله و شاهد بعينه اعماله و

(١) انظر حالنامه ص ٨٧ - ٨٨.

(٢) انظر حالنامه ص ٨٨.

اقواله — يبعان العلم و الفتوى للناس بالمال و لا يقومان بالصلح بين المتحاربين و المتخاصمين الا بعد ان يقدم اليهما الأجرة المقررة. بل ما كانا يقضيان و يحكمان إلا بعد ان يلقي في جيوبهما المبلغ المعين من النقود و لم يقصر الحاج الجهد في ميل العامة الى نفسه و قد زعم الحاج انه يمتاز عن العامة لأنه قام بالحج وزيارة الكعبة و زعم للناس ان في رويته تبركا و ثوابا.

فكر بايزيد في هذا المجتمع و عمله ثم القى نظره على القرآن و الحديث ليقارن عمل هؤلاء الناس بالقرآن و الحديث فوقع نظره على هذه الآية: إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم(١) و أيضا قرأ الأحاديث التالية: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده(٢)"، و "فرح الدنيا أهون من فضح الآخرة." "من طلب الدنيا يعمل الآخرة فما له في الآخرة من نصيب(٣)"، و "قل الحق و لو كان سرا(٤)". بعد ذلك شرع بايزيد ينصح الناس ان ينظرو الى أعمالهم و إلى تلك الآية و الأحاديث المذكورة ليحققوا من صحته أعمالهم و ليكونوا مسلمين بالمعنى الصحيح فيتخلصوا من الشرك الخفى و الجلى و النفاق و الرياء.

وجد أعداء بايزيد الفرصة فقاموا بالدعاية ضده و نشرها في الناس ان بايزيد يرى الناس في الشرك و النفاق حتى ان الشيوخ و الزهاد أيضا مشركون و منافقون في نظره فذهب جماعته بزعامته عثمان المعاند لبايزيد الى والده عبد الله و قالوا له ان ابنك قد انحرف عن الدين بل انه قد جن

(١) الحجرات ٤٩ : ١٠.

(٢) مشكاة المصابيح ص ١٥.

(٣) لم أجده في الصحاح.

(٤) لم أجده في الصحاح.

وذهب عقله اذ انه يحسب الناس مشركين فحزن عبد الله بهذا النبأ و أرسل تلاميذه الى بايزيد ليحققوا في هذا الأمر فرد عليهم بايزيد بانه لم يكفر أحدا بل انه يقول ان صفة المؤمن هي كما وصفه النبي عليه السلام بقوله : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١). فانظروا الى الناس ان وجدتموهم متصفين بهذه الصفة فهم مؤمنون وإلا فالحكم اليكم كيف تحكمون بهم.

فرجع تلاميذ عبد الله مقتنعين بحجة بايزيد و قصوا على عبد الله كلام بايزيد و بينوا له دلائله فسكت عبد الله و رضى من كلام بايزيد لانه لم ير فيه شيئا يخالف القرآن والحديث ، و لما بلغ رضاء عبدالله و تلاميذه عن بايزيد الى أعدائه فاحترقوا بنار الحسد و تمنوا انصراف الناس عنه و اقبالهم عليهم كما هو عادة اغلب شيوخ الطرق في كل زمان و في كل مكان اذ انهم يرغبون دائما في ان يجتمع الناس حولهم و ان يتركوا غيرهم.

بعد ذلك وجدت طائفة خاصة تخاصم بايزيد و تكيد له و تسعى في الوقوع به بأية وسيلة كانت و اشتد هذا النزاع و ذلك الجدل حتى ان بلدة كافي كرم انقسمت الى طائفتين طائفة تؤيد و تناصر بايزيد و طائفة أخرى تحارب و تخاصم بايزيد. و كان لهذا النزاع و ذلك الجدل عواقب وخيمة سأعرض لها في الصفحات الآتية.

لقبه : بير روشان

رأى بايزيد الانصارى في المنام ان رجلا صالحا يقول للناس لا تدعوا بايزيد باسمه بل ادعوه ببير روشان (المرشد الهادى) كما ادرك اتباعه

(١) لم أجده في الصحاح.

بدافع خفى ان لا يدعوه باسمه بل ان يدعوه باللقب المذكور. بعد هذه الرؤيا و ذلك الشعور الخفى بدأ أتباع بايزيد يدعونه ببير روشن (المرشد الهادى) و اذيع هذا الخبر فى البلدة فأخذ أعداء بايزيد يقومون بالدعاية ضده و يقولون للناس أن بايزيد لقب نفسه بالمرشد الهادى و ادعى لنفسه انه صاحب الطريقة و دعا الناس ان يدخلوا فى بيعته. فذهب عثمان خصم بايزيد برفقه اصحابه الى عبدالله و قال له ان ابنك يدعى الان انه مرشد هاد و يدعو الناس ان يبايعوه. فارسل عبدالله بعض تلاميذه الى بايزيد ليسألوه: من اذن له بذلك و بأى شىء يوصى أتباعه و كيف حصل له درجة المرشد الهادى. فرد عليهم بايزيد بأن الله تعالى أنعم عليهم وهداه الى التوحيد و المعرفة و تلا هذه الاية تاييدا لقوله: " ينزل الله تعالى من فضله على من يشاء من عباده (١). و قرأ هذه الاية أيضا تاييدا لكلامه: " و الله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم (٢). فلما سمع عبد الله هاتين الايتين قال ان كان عمل بايزيد موافقا للقرآن و الحديث فلا بأس عليه ان يأخذ البيعة من الناس و ان لم يكن عمله موافقا للقرآن و الحديث فسأمنعه من ذلك (٣).

بيعة محمد كمال

جاء محمد بن خداداد لزيارة بايزيد و كان خداداد هذا عم بايزيد قد استوطن فى " دور، (٤) و لما توفى خداداد الى رحمة الله بقى ابنه محمد

(١) البقرة ٢ : ١٠٠.

(٢) البقرة ٢ : ٢١٣.

(٣) انظر حالنامه ص ٩٩ - ١٠٢.

(٤) هذه قبيلة كبيرة تسكن فى وادى توجى المنطقة المشالية من باكستان الغربى.

في قبيلته " دور، " و كان صديقا لبازيد من صفوه قبل ان يرحل من " كاني كرم، " الى " دور، " و كان بايزيد يشناق للقائه ويتمنى ان ينضم محمد الى حلقتة فلما لقيه محمد رحب به بايزيد و عانقه ثم جرت بينهما محادثة و مباحثة حول طريقته بايزيد و دعوته الناس الى التوحيد و المعرفة فلما اطمأن محمد الى طريقته بايزيد و دعوته طلب منه ان يهديه الى التوحيد و ان يرشد الى معرفته الحق فأمره بايزيد بالاعتكاف أربعين يوما كي يحصل بعد ذلك على التوحيد و المعرفة فقام محمد بهذا الاعتكاف و انتظره جمع غفير من الناس ليعرفوا حال محمد بعد الاعتكاف أحقا يحصل على التوحيد و المعرفة أم لا . فلما أتم محمد الاعتكاف خرج الى الناس و قال لهم انه قد حصل فعلا على التوحيد و المعرفة و شهد بأن طريقته بايزيد طريقته حقه يصل بها الانسان الى التوحيد و المعرفة . فانضم بعده عدد كبير من الرجال و النساء الى حلقة بايزيد و بايعوه و ذاعت شهرته في بلدة كاني كرم و القرى المجاورة فكان الناس يفدون اليه و يدخلون في بيعته ثم سافر محمد الى وطنه الجديد في " دور، " و قام هناك بالاعتكاف و الذكر الخفي و التزم على نفسه قلة الاكل و الكلام و سهر الليالي ثم غلب عليه الرغبة الى رؤية ابن عمه و مرشده بايزيد فرجع الى " كاني كرم، " بعد سنه و بقي عند بايزيد مدة من الزمن يقوم بالعبادة و الذكر الخفي و الاعتكاف . ثم ارسله بايزيد الى والده عبد الله وأخيه يعقوب ان يبايعا بايزيد و ان يدخلوا في حلقتة .

فلما حضر محمد عند عبد الله و يعقوب و بلغ اليهما دعوة بايزيد غضب عبد الله غضبا شديدا و قال له ما كان ينبغي لك ان تقول في هذا الكلام لانني عالم كبير لا حاجة لي الى بيعته أحد و خاصة بيعته ابني الذي

علمته و هو أقل منى علما. و فوق هذا فانى قد بايعت بهاء الدين زكريا الذى لا شك فى انه مستجاب الدعاء.

ثم رجع محمد من عند عبد الله و يعقوب و حكى لبايزيد ما جرى بينه و بين عمه عبدالله و ابن عمه يعقوب فقال بايزيد انهما مغروران بالنسب و العلم ولن يصدقا أى قول مهما يكن حقا.

ثم اظهر محمد الرغبة فى الرجوع الى وطنه فى "دور"، فأذن له بايزيد بذلك بعد ان جعله خليفه و منحه لقب محمد كمال الى قبيله "دور"، و بدأ الرياضة النفسية و جعل يدعو الناس الى التوحيد و المعرفة. فاستجاب له بعض الناس و خالفه البعض الاخر (١) و بذلك انتشرت دعوة بايزيد فى منطقته "دور"، كما وجدت الشهرة الكاملة فى بلدة "كانى كرم"، و القرى المجاورة من قبائل مسعود (٢) و غيرهم.

مناظرة بين بايزيد و بين مولانا زكريا (٣)

واجه بايزيد الانصارى فى دعوته الناس الى التوحيد و هدايتهم الى معرفة الحق معارضة شديدة من العلماء و شيوخ الطرق و اتباعهم اذ قاوم هؤلاء حركته الاصلاحية مقاومة عنيفة نصحه أبوه عبد الله بترك الزهد و الاعتكاف و أوصاه بالكسب و التجارة و دار بينه و بين أخيه يعقوب غير مرة

(١) انظر التفصيل فى حالنامه ص ١٠٤ - ١٢٨.

(٢) و هى قبيلة كبيرة تسكن فى المنطقة الجنوبية من باكستان الغربى و تنقسم الى ثلاث قبائل الرئيسة و هى مان زى. بلول زى، شامن خيل. اشتهر رجالها بالشجاعة و البسالة.

(٣) هو كان رجلا عالما من اهالى بلدة كانى كرم و معاصرا لبايزيد الانصارى انظر

حالنامه ص ١٥٦.

مناظرة في المسائل الدينية" وطريقته الصوفية" ثم لما قام بدعوة الناس الى التوحيد و هدايتهم الى معرفة الحق جهرا و طلب منهم ترك حب الدنيا و الشرك الخفى و النفاق استجاب البعض لدعوته و بايعوه و خالفه البعض الاخر و منعوا الناس من بيعته، بينما وقفت جماعة" ثالثة" موقف الحياد لم تباعه و لم تمنع الناس من بيعته .

هكذا انقسم الناس على بايزيد و طريقته الصوفية" فقام بعض العلماء و شيوخ الطرق في بلدة كاني كرم و القرى المجاورة يخالفونه و يمنعون الناس من بيعته بل بدأوا يطالبون العامة" باخراجه من البلدة احيانا و يحرضونهم بقتله احيانا اخرى ، منهم عثمان(١) الذي قام بالدعاية" ضد بايزيد الانصارى و منع الناس من بيعته" و اتباعه و منهم مولانا زكريا الذي حضر الى بايزيد برفته" ابنه احمد الزعيم "لودي"، و قد جرت بين بايزيد و بين مولانا زكريا في هذا المجلس مناظرة حادة حتى أنها تحولت الى نزاع و جدال عنيف اتهم مولانا زكريا بايزيد بأمر منها :-

انه يدعى لنفسه انه مرشد كامل و انه يزعم ان الالهام يأتي اليه و انه يرى الناس منافقين و متلوثين بالشرك الخفى و انه لا يطيع اياه عبد الله و اخاه يعقوب و انه يسبب الشقاق بين المسلمين و انه ترك التسيبجات و الاستغفار و صلوة النفل و انه بدل الاخلاق الحميدة بالاخلاق الذميمة" و انه يسيء الى الناس بعد أن كان رؤفا عطوفا عليهم فاجابه بايزيد : " بان عبدالله و يعقوب يأمرانه بالاشتغال بامور الدنيا و يمنعانه من الاشتغال بالزهد و الاعتكاف و دعوة الناس الى التوحيد و المعرفة" و هذا

(١) كان عثمان يتظاهر بالزهد و الورع و يدعو الناس لبيعه. انظر حالنامه ص ٩٦ .

خلاف الشريعة" كما قال الله تعالى : "قل أغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون(١)"، وانه لم يتشدد مع الناس إلا في الامور الدينية" لانه يأمر الناس بان يطلبوا الحق و ان يعملوا بالقرآن و ان يحصلوا على علم التوحيد و ان يثبتوا بكلمة التوحيد.

ثم اشتد بينهما النزاع و حى و طيس المجادله" فثار مولانا زكريا و فارثم تقدم احمد بن مولانا زكريا و سأل بايزيد قائلا له : "من هو مرشدك"، فاجابه بايزيد بان مرشده هو النبي عليه السلام ثم بلغ الجدل الى اقصاه فلم يطق مولانا زكريا مجالسه" بايزيد فتركه و بدأ يشير العامه" ضد بايزيد حتى انه حث الزعيم "لودى"، و عبدالله بأن يجلسا بايزيد و لكن اتباع بايزيد دافعوا عنه و وقفوا بجانبه فلم يستطع أحد ان يضره بشئ(٢)،،.

خروجه من الاعتكاف

خرج بايزيد الانصارى من الاعتكاف بعد أن قضى فيه خمس سنوات متواليه" و بدأ يدعو الناس الى التوحيد و الى معرفه" الحق و يأمرهم بتزكيه" الجسد و تصفيه" القلب و تقيه" الروح و يطالبهم بترك الشرك الخفى و النفاق و التقاليد الباطله" و يوصيهم بالذكر الخفى و قله" الاكل و الكلام و سهر الليالى و العزله" عن الناس و ترك حب الدنيا.

و لما كان بايزيد يحكم على الناس بالنفاق ، لان ظاهرهم كان يخالف باطنهم و لان عملهم لم يخل من الرياء و الخداع و كان يرى الناس منهمكين

(١) الزمر ٣٩ : ٦٤ .

(٢) انظر التفصيل فى حالنامه ص ١٥٦ - ١٦٧ .

في طلب الدنيا و منصرفين عن معرفته" نور التوحيد اصبح هدفا للتمهم و عرض نفسه للنقد المروانصرف عنه أكثر الناس حتى ان اتباع خواجه اسماعيل لم يطمأنوا اليه اذ قال في حقهم: " انهم فازوا على نور المعرفة و لكنهم لم يصلوا الى درجة القربة و الوصلة و التوحيد"، (١).

كان اتباع بايزيد يأخذونه الى بيوتهم و يكرمونه و يقيمون له حفلات التكريم و كانوا يتبركون بقدمه الى بيوتهم و يريدون منه الاستفادة في الامور الدينية و يستعينون بارشاده و هدايته الى معرفته ذات الله تعالى — و قد بقيت هذه العادة الى يومنا هذا في تلك القبائل الجبلية حيث تقام حفلات التكريم لمشايخ الطرق و يجلبهم العامة و يتبركون بصحبتهم و مجالستهم — و كان له اتباع في بلدة سنك توى (٢) منهم ابراهيم الذي طلب اليه ان يذهب معه الى قريته حيث ينتظره جماعته من الرجال و النساء يريدون بيعته فذهب بايزيد الى بلدة "سنك توى" و نزل في بيت مريده ابراهيم ثم استضافه الشيخ اورياء (٣) لما كان الشيخ اورياء يأخذ البيعة من الناس و يريد منهم اطاعته و كان بايزيد هو الآخر يدعو الناس الى بيعته و يريد منهم الدخول في حلقتة حصل بينهما اختلاف و بدأ الشيخ اورياء يخلص نفسه من بايزيد و يحاول اخراجه من بلدة "سنك توى" فكتب الى قبيله بركي ان بايزيد ينشر الفساد في الناس بل انه قد جن و ذهب عقله اذ انه يحكم على المسلمين بالكفر فعليهم أن يأخذوه الى بيته أو يقتلوه ليخلصوا الناس من

(١) انظر حالنامه ص ١٧٢.

(٢) هي بلدة صغيرة حوالى عشرة اميال من مدينة كاني كرم يسكن فيها حالا قوم

مسعود.

(٣) الشيخ أورياء كان رجلا كريما ذانفوذ على الناس و كان يملك الاراضى الواسعه

و الثروة الضخمة و كان له اتباع في مدينة كاني كرم من قبيله بركي.

تضليله وفساده. فاجتمع رؤساء قبيلة "بركى الى عبد الله والد بايزيد و طالبوه بارجاع بايزيد من بلدة "سنگ توى". و لما كان اتباع بايزيد يدافعون عنه و يقومون بجانبه و ما كانوا يسمحون لآحد أن يضره بشيء فلم يكن فى وسع عبد الله بمفرده ان يقبض عليه. لذلك اجتمع رؤساء قبيلة "بركى" و قرروا ان يذهبوا وراء بايزيد ليقيده ثم يأخذوه من هناك الى بيته و لكن اتباعه أخبروه بقرار رؤساء قبيلة "بركى" فرجع الى بيته، بينما كان رؤساء قبيلة "بركى" و عبد الله فى بلدة "منتوى (١)". و لما لم تجده جماعة عبد الله فى بيت ابراهيم، سريده الخاص، رجعت هذه الجماعة صفر اليمين الى مدينة كاني كرم (٢).

هجرته من بلدة كاني كرم

كان الشيخ اورياء يرسل الخيل وقت الربيع عند اتباعه كي ترعى فى حقولهم وتسمن بزرعهم وأرسل بعض أفراسه الى مدينة كاني كرم عند اتباعه من قبيلة "بركى" فحدث ان قتل فرس الشيخ اورياء و اتهم الناس بقتله، على شير، احد اتباع بايزيد وقد انكر على شير من قتل فرس الشيخ اورياء ولكن الشيخ اورياء لم يقتنع بهذا فأمر زعماء مدينة كاني كرم باخراج بايزيد وطرده من المدينة فاجتمع رؤساء القبائل السبعة (٣) التى كانت تسكن فى مدينة كاني كرم اذ ذلك و اتفقت على اخراج بايزيد من المدينة و خالفهم الشيخ فريد رئيس قبيلة "بركى" و لكنه لم يستطع مقاومه القبائل الستة و لم يقدر أن يدافع عن

(١) هى قرية صغيرة تبعد عن مدينة كاني كرم حوالى ثمانيه أميال.

(٢) انظر التفصيل فى "حالنامه" ص ١٧٤ - ١٨٥.

(٣) هذه القبائل: رمن سرح، ملتان، فكنى، خزم جاني، جرائى، سرکوشى، بركى،

راجع حالنامه ص ١٨٦.

بإيزيد . فلم يبق لبإيزيد حيله سوى الخضوع لقرارهم والاستجابة لامرهم فأخذ زوجته ،، بى بى شمسو ،، وابنه الشيخ عمر و بنته كمال خاتون و غادر المدينة و عبر وادى كانى كرم و بات هناك على الجانب الاخر من الوادى فى بيت منعزل . كان السفرة ينزلون فيه أغلب الاوقات . ثم ذهب وراه اتباعه و اقرباؤه من الرجال و النساء ليكون و يأسفون لفراقه و فراق اهله . ثم شفح بعض أقربائه عند والده عبد الله و استرحموه على ابنه و اهله فقال لهم عبد الله ” ينبغى لبإيزيد ان يترك الكلام الذى لا يستحسن قوله “ . وقال بإيزيد فى جواب ابيه : ،، لقد تركت مثل هذا الكلام من زمن و لكنى اهدى الى التوحيد و معرفه ذات الحق “ . فاستحسن عبد الله منه هذا الجواب و اخذه الى بيته و اخلى له احد البيوت . فسكن بإيزيد مدة عند ابيه عبد الله و اخيه يعقوب .

و لما علم الناس بمصالحة بإيزيد مع ابيه عبد الله شكروا الله على مصالحة الاب مع الابن الا ان رؤساء القبائل طالبوا بإيزيد باسترضاء الشيخ اورياء و اصروا عليه فذهب بإيزيد و اخوه يعقوب لاسترضاء الشيخ اورياء و أخذوا معهما فرسين . فقبل الشيخ اورياء منهما الفرسين عوض فرسه المقتول و رضى منهما و من رؤساء القبائل فى المدينسه (١) .

بقى بإيزيد فى بيت عبد الله بضعه شهور يحترمه والده و أخاه و يحترز عن كل شىء فيه خوف النزاع و الجدل . و قد اعترف والده عبد الله بعلم بإيزيد و ذكائه كما اقر بصلاحه و ورعه اذ قال فى جواب من سأله عن حال بإيزيد ،، ان بإيزيد لم يتعلم منا كل ما يقوله و لم يذهب للعلم الى مكان آخر و

(١) انظر التفصيل فى حالته ص ١٨٧ - ١٩٥ .

مع هذا فانه ياتى بالدلائل و الايات القرآنيه ببراعه تحير العقول و تدهش العلماء و انه صالح و رع في الظاهر و لا ندري من باطنه (١) . هذا قول ابيه في علمه و زهده و تقواه .

ولما وقع الاختلاف بينه و بين ابيه في بعض المسائل الدينيه و خاصه في مسأله المعرفة و التوحيد و اشتد هذا النزاع و بلغ الاختلاف بينهما الى أقصاه عند ما امتنع بايزيد من عداوه " الهداد " ابن عمه اذ كان عبد الله يريد منه قطع العلاقات مع " الهداد " و لم يستجب بايزيد الى طلب والده بحجه ان العداوه لاجل الامور الدنيويه ممنوعه في الشريعه . فكان عبد الله غير راض عن بايزيد بل ما كان يستريح اليه . وكان بايزيد يحس شعور ابيه و عدم رضائه و لكنه فضل رضاه الله على رضاه ابيه و كان يرى ان المحبه و العداوه مع الناس لا تجوز الا لرضاء الله تعالى وحده . بعد هذا الاختلاف وجد بايزيد نفسه مضطرا الى ترك بيت ابيه عبد الله و كان يفكر دائما في مكان يهاجر اليه و يقوم فيه بدعوه الناس الى التوحيد و هدايتهم الى معرفه الحق بينما كان بايزيد في هذا الصراع النفسى و ذلك التفكير المضنى وصل اليه رساله من محمد كمال الذى قام بنشر دعوته في قبيله " دور " يدعوه فيها بالسفر الى منطقته " دور " حيث ينتظره جماعه كبيره من الرجال و النساء الذين يريدون مبايعته و اتباعه .